عنوان المقال :

الطفولة
ما بين التكريم الإسلامي
وتداعيات الحياة المعاصرة :

(عمالة الأطفال كنموذج)

إعداد الأستاذة

د/ عاشوري صونيا

قسم علم النفس وعلوم التربية : جامعة عنابة

ملخص الدراسة :

لقد جاءت دراستنا هذه للبحث في واقع الطفولة في بلادنا ومدى فعالية التنشئة الاجتماعية اليوم في التقليل من التداعيات السلبية للحياة المعاصرة وكيف يمكننا أن نقي أطفالنا من خطر التوجهات الاقتصادية الحالية وتأثيراتها السلبية على مدركات وتوجهات طفل اليوم ، لذلك اخترنا شريحة الطفولة العاملة كنموذج يستحق الاهتمام باعتبارها تجسد الخلل الواضح فيما يخص مواكبة التنشئة الاجتماعية ودور الأولياء للتغيرات الاقتصادية الحاصلة في بلادنا حيث توصلت الدراسة إلى أن الحياة المعاصرة وضر وفها ومتغيراتها لاسيما الاقتصادية منها تنعكس بصيغ سلبية على الطفل ولاسيما على المستويات النمائية للطفل العامل الذي أصبح يتفاعل مع الحيات الاقتصادية من منطلقات ذاتية قد تؤدي به إلى الاختلال .

مقدمة :

الطفولة من نعم الخالق سبحانه وتعالى على الإنسانية ، فمن اجلها يرحمنا الله عندما يهم بأهل الأرض عذابا وهم بهجة الحيات عند الوالدين وزينة الدنيا وامتدادنا على مر الدهور والأحقاب وبهم يحفظ الله الإنسانية من الزوال ، وحتى تحقق الطفولة مأربها لابد أن تكون لها ارض ذليلة وسماء ظليلة .

ومن ثم لا نعجب أن كل الديانات قد أوصت بضرورة العناية بالأطفال وتعليمهم ، وكان لهم في الإسلام حظ وفير وإرشاد وتربية وسلوك فقد ورد ذكرهم في العديد من آيات الذكر الحكيم ، وكان للأطفال عند العرب الحظوة

والملاحظ أن كل الأمم والشعوب قديما وحديثا تعطي للأطفال منزلة سامية ومكانة عالية تسن من اجلهم القوانين وتصمم البرامج لحمايتهم ورعاية حقوقهم ، وعلى الرغم من كل ذلك فإن الأطفال في عالمنا العربي وقياسا إلى أترابهم من أطفال الدول المتقدمة لا يزال جزء كبير منهم يعاني من قلة الاهتمام والرعاية.

الطفولة رؤية تاريخية عربية إسلامية :

الطفولة أمل الأمة وهدفها ، فهم ثروة كل وطن التي لا تقدر بمال، حيث تبذل كل الدول والشعوب والمجتمعات كل الجهود والوسائل الممكنة والمتاحة من اجل الأطفال والطفولة .

فالأطفال هم عماد المجتمع وثراء الوطن وشباب الغد ، حيث لم يغفل تراث أي مجتمع عن الأطفال فلهم حظ وفير من القصص والتراث

الشعبي ، والمتأمل في تراث قدماء المصريين يلاحظ أنهم اهتموا بـــأدب الأطفال وأساليب تربيتهم وتعليمهم وقد أطلق على اخناتون أنه أول رجل يحب الأطفال حيث عكف على تقديم تعاليم قيمة فيمـــا يخـــص التربيـــة الأسرية والاجتماعية ومن بين هذه التعاليم إذا وجدت رجلا يتكلم ، وكان اكبر منك فأصغ إليه،

وفي الحضارات الهندية والفارسية والرومانية واليونانية القديمة ما يحكى عن الأطفال وحكاياتهم والعطف عليهم ورعايتهم والعناية بهـــم وكتاب كليلة ودمنة الذي نقله إلى العربية ابن المقفع يعد من أهم مصادر الأدب عند الأطفال (مهدي عبيد ، ١٩٩٤، ص ١٠٦)

وجاء الإسلام ما أعظمه وما أكرمه مع الأطفال فوضع أســـس التربيـــة القويمة من عند علام الغيوب على من لا ينطق عن الهـــوى إن هـــو إلا وحي يوحى فقال صلى الله عليه وسلم " لاعب ولدك سبعا وأدبـــه ســـبعا وراقبه سبعا ثم اجعل حبله على غاربه".....حديث شريف

فالسنوات السبعة الأولى هي مرحلة اللعـــب بالحركـــة والكلمـــة والمناغاة ، والسبع السنوات الثانية تتضح علاقة الطفل باللغة و الأدب والتفتح على العلـــم والاســـتيعاب والإدراك العقلـــي والنضـــج النفســـي والانفعالي والسبع الثالثة للتأكد من مـــدى اســـتيعابه لمـــا تـــم تعلمـــه والاستفادة منه في حياته ثم مرحلة الرشد حيث يتعلم مسؤولية أعمالـــه في الحياة .

دور الأسرة في الاهتمام بالطفولة :

تعتبر الأسرة هي النواة الحقيقية الأولى التي تولى إليها المهمة في الاهتمام بالطفولة ، حيث أنها المكان الأول الذي يتواجد فيه الطفل ويحقق من خلاله إشباعاته وحاجياته المختلفة سواء كانت المادية أو النفسية أو التربوية والاجتماعية وحاجيات الطفل من الآسرة باعتبارها أهم مؤسسات التنشئة الاجتماعية تختلف من مرحلة عمرية إلى مرحلة عمرية أخرى (حسن مصطفى عبد المعطي، ٢٠٠٤، ص ٦٧).

إن ميداني الأسرة والطفولة من أهم ميادين واشملها وهما متداخلان لدرجة يصعب معها الفصل بينهما مما جعل النظرة الحديثة تتجه إلى جعلهما ميدانا واحدا. ومن التغيرات الاجتماعية التي تبرر مزيدا من العناية بالطفولة التحول الذي جرى في هيكل الأسرة والذي يسري إلى مجتمعات البلدان المختلفة يوما بعد يوم.ونعني به ظهور الأسرة النووية أو الأسرة المصغرة وحلولها محل الأسرة التقليدية الواسعة. فقد كان الطفل في تلك الأسرة الواسعة كما نعلم موضع عناية أفراد الأسرة جميعهم. والانتقال إلى الشكل الحديث من الأسرة يستلزم توفير أجواء اجتماعية وثقافية وعاطفية تحل محل ما كانت توفره الأسرة التقليدية. ومن بين الظروف الاجتماعية الهامة التي تملي مزيدا من الاهتمام بالطفولة وتربيتها ورعايتها أننا نعيش في عالم تغير تغيرا سريعا ومقلقا.

الطفل وبناء الأدوار في الأسرة:

يعتبر البناء المتميز للأدوار والمراكز الأسرية من أهم العوامل التي تحدد وبدرجة كبيرة طبيعة المناخ الاجتماعي والبيئة السيكولوجية التي تحيط بالطفل, حتى إن معظم الدراسات التي اهتمت بقضية التنشئة الاجتماعية بوجه خاص أو تلك التي يضمها تراث علم اجتماع الأسرة, تركز اهتمامها على تغير الأبعاد البنائية للأسرة باعتبارها من أهم مظاهر التغير الأسري التي تترك أثرها وبوضوح على مستوى الطفل أو على مستوى الأسرة, ولما تكشف عنه من تفكك أو تكامل(حسن مصطفى عبد المعطي ، ٢٠٠٤ ، ص ٦٤).

الطفولة وتداعيات الحياة المعاصرة:

من الملاحظ أن الاختلاف في بناء الأدوار يصاحبه اختلاف مماثل في أنماط وآليات التفاعل الأسري التي يمكن أن تترجم من خلال وضع مهم وغير صحي للطفل يعكس معادلة اختلال الدور في نظام الأسرة فطفل اليوم اصحب يتفاعل مع كل التداعيات الحاصلة على مستوى الحياة اليومية وفي كل الاتجاهات ولعل ظاهرة عمالة الأطفال إحدى الوضعيات التي تسمح لنا بالتحليل وإيجاد الثغرات فيما يخص اختلاط الدور .

ظاهرة عمالة الأطفال كوليد للحياة المعاصرة :

تعتبر ظاهرة عمالة الأطفال من الظواهر السلبية التي أصبحت تهدد الأفراد والمجتمعات في كافة بقاع العالم، كيف لا وهي تمس الشريحة التي تمثل مستقبل الأمة ألا وهي شريحة الطفولة، فالطفل في هذه المرحلة بحاجة للاهتمام به وتلبية حاجياته النفسية والاجتماعية

والاقتصادية ،ولا يتحقق ذلك إلا في ظل أسرة تستطيع توفير الجو اللازم لرعاية الطفل والاهتمام به كما ينبغي من جميع النواحي ،لهذا لا يمكن إهمال الناحية المادية أو الاقتصادية للأسرة والتي في الحقيقة لا يمكن فصلها عن الوضع الاقتصادي للمجتمع ويظهر ذلك جليا في بلدان العالم الثالث الذي مازال يعاني من ويلات الفقر وتتجلى خطورة هذه الظاهرة بالدرجة الأولى من حيث قوة انتشارها وشدة استفحالها كما أننا لا نستطيع أن نتجاهل تأثيراتها السلبية على الطفل من جهة وعلى المجتمع من جهة أخرى، وتبرز خطورة الظاهرة أكثر على الطفل العامل من خلال احتكاكه بالمادة *النقود * وإدراكه لسيادتها في المجتمع ، لاسيما في وقتنا الحالي أين يتشرب الطفل العامل في الشارع وهو بعيد عن المدرسة قوانين السوق فتصبح توجهات الطفل العامل تنحوا إلى اكتساب المادة مهما كانت الوسيلة والظروف (حسين عبد الحميد احمد رشوان ، ٢٠٠٥، ص ١٠٢)

الآثار السلبية لظاهرة عمالة الأطفال :

يجدر التركيز دائما على أن الطفولة هي مرحلة بناء ونمو للفرد تتطلب عناية واهتمام لكي يحصل التكامل السوي في النمو على كل المستويات من جسمية إلى نفسية واجتماعية وتربوية ، فبالرغم أن لظاهرة عمالة الأطفال جزء من الفائدة، إلا أن الضرر الذي يخلفه على الطفل من الناحية الجسمية، النفسية، العقلية، المهنية أكبر من إيجابياته لذلك يمكن أن تقسم الآثار السلبية إلى آثار صحية، نفسية واجتماعية، عقلية ومهنية كما يلي:

- **الآثار الجسمية** :

بينت الدراسات أن لعمل الأطفال المبكر أثر سلبي على نموه الجسمي، فمعظم الأعمال التي يقوم بها الطفل تعرقل هذا النمو، ويؤدي إلى إصابات جسمية يصعب علاجها فيما بعد وأهمها: تشوهات عضلية وعظمية بسبب حمل الطفل لأوزان ثقيلة وفي وضعيات غير ملائمة تؤدي إلى تشوهات في العمود الفقري، القفص الصدري، الحوض...

التعرض لسوء التغذية وفقر الدم، انعدام الوجبات الغذائية الرئيسية يؤدي إلى نقص الفيتامينات وخاصة الأحماض الآمينية ومالها من دور في التأثير على الجهاز العصبي. والإصابة ببعض الالتهابات والإصابات الجرثومية لانعدام النظافة وتعرض الطفل لبعض المواد الكيميائية، اضطرابات في التنفس مثل الربو المهني (حمزة جمال مختار ، ١٩٩٧ ، ص ٤١)

هذا بالإضافة إلى نقص الرعاية الاجتماعية التي تؤدي إلى عادات سلوكية سيئة كالتدخين وتعاطي المخدرات، الخمر وقد أشارت إحدى الدراسات إلى أن هؤلاء الأطفال الذين يعملون يقومون بشراء مواد تعاطي المخدرات من أجورهم.

- الآثار النفسية :

إن المرور المفاجئ للطفل من مرحلة النمو الطفولة إلى حالة الرشد، يؤثر سلبيا على النمو النفسي للطفل، فالنضج المبكر الظاهر على سلوكيات الطفل والذي لم يؤسس في الحقيقة بعد، تدفع به إلى تبني سلوكيات مماثلة لسلوكيات الراشدين، لكن لعدم نضجه ونقص الخبرة والتدريب يحس الطفل بمشاعر الظلم والإحباط والإحساس بالنقص لأنه لا يمكن له أن يقدم نفس عمل الراشدين

فلقد تبنت الدراسة التي قام بها سامي علي ١٩٩٩ " حول الملامح المميزة لصورة الذات لدى الأطفال العاملين فقط ، والذين يعملون ويتعلمون في نفس الوقت، توصل إلى أن صورة الذات للأطفال تميزت بالاضطراب والقصور، فظهرت صورة الجسم لديهم معبرة عن مظاهر الضعف والاختلال، كذلك نقص الكفاءة، ونقص الثقة بالنفس واضطراب صورة الذات أدى إلى اضطراب تواصلها مع العالم الخارجي، فظهرت مشاعر الدونية و التمركز حول الذات والتي تحول دون التفاعل التلقائي مع الآخرين.

وأظهرت كلتا المجموعتين اضطراب كبير في التوحد بصورة الأب، وكذلك أظهرت الدراسة محاولة الأطفال تعويض الإحباط الذي تعرضوا له في مجال التعليم بالبحث عن الحصول على الثراء وذلك في مجموعة الأطفال الذين يعملون فقط، أما لدى المجموعة الأخرى فتميزت بالسعي وراء التمييز الاجتماعي من خلال التعليم أو الثراء المادي من خلال العمل المهني. (فرج عبد القادر طه، ١٩٩٩، ص ١٠)

كذلك قد يؤدي كسب الطفل للنقود يعتبر في إدراكه لذاته، ويدعم إحساسه بالتفوق ويعمل دائما على التأكيد على أنه راشد، الذي لم يبلغ بعد من خلال تقليد سلوكيات الراشدين فيتعلم التدخين، القمار، الإسراف في النفقة.

كما أن عدم الانتظام بالمدرسة للالتحاق بالعمل يعتبر من الأخطار التي تؤثر على نموه العقلي بحيث يصبح أقل مستوى عن أقرانه ، إذ أنه بقدر المعلومات المخزنة في ذهن الطفل ينمو عقله فالمعرفة هي انعكاس مخزون الدماغ (الذهن) ولن يتسنى للطفل زيادة معارفه إلا عن طريق المدرسة .

من جهة أخرى العمل يفقد الطفل عالمه الطفو لي ويجبره على التخلي عن الدوافع والأنشطة المصاحبة للطفولة، فالعمل يمنع الطفل من الاستمتاع بالذوق الطبيعي للعب، والذي يختفي شيئا فشيئا، فالطفل العامل يطور استخدامات متعددة للمكان، فيخلط مكان العمل مع اللعب، فيجعل منه وسط للتعبير عن العمل والترفيه معا، فالطفل الذي يعمل في الشارع، يستثمر المكان بطريقة مختلفة، وأوقات الترفيه لديه لا يقضيها في نفس المكان، عكس الأطفال الذين يعملون ويدرسون ليس لهم مكان محدد للعب فيعملون ويلعبون في نفس الوقت .

وعندما يحل الواقع العملي محل الواقع الوهمي والخيال في عقل الطفل فإنه يحجب قدراته الإبداعية بالإضافة إلى ظهور أنواع من القلق غير الصحي، الذي يتعرض له الطفل في سنواته المبكرة، وتضعف روابط الطفل وعلاقاته الأسرية نتيجة طول ساعات العمل والرجوع إلى المنزل في ساعة متأخرة يفقد دفء المشاعر الأسرية.

- تأثير العمل على النمو العقلي للطفل :

عندما يحل الواقع العملي محل العالم الوهمي والخيال في عقل الطفل فإن ذلك يحجب قدراته الإبداعية، فحصر تفكير الطفل في الانشغالات اليومية للكسب وفي النشاط الاقتصادي والمتاعب الاقتصادية تحد من القدرة على الإبداع لدى الطفل، فلا ينمو واقعه الخيالي، ونجد الحياة الداخلية للطفل فقيرة جدا، فالضغط الذي يمارس على شخصية الطفل يمنعه من التعبير عن نفسه وتنعكس على توازنه الفكري (رشيد عدنان ، ١٩٩٤ ، ص ١٥١)

- تأثير العمل على المستقبل الاجتماعي والمهني للطفل :

العمل يمنع الطفل من متابعة تعليمه في أغلب الأحيان، فلا ينسى ذكاؤه، ولا تفكيره فسوء التكوين والتعليم يحدد إلى أقصى حدّ فرصة تنوع عمل الأطفال، فممارسة نشاط ما طوال الوقت، وفي ظروف معينة، يطبع المستقبل المهني للطفل طوال حياته فالطفل لا يجد الفرصة والوقت لتعلم مهنة أخرى تحسن من نوع العمل الذي يمارسه وهذا يطرح تخوف وهو أن يبقى هؤلاء الأطفال طوال حياتهم في مستوى أضعف فئات المجتمع، لذلك نجد أن معظم الأطفال الذين يعملون فقط ودون متابعة الدراسة يظهرون رغبة كبيرة في الحصول على الكسب المادي الوفير والسريع لتحسين وضعيتهم فأغلب طموحاتهم تنحصر في أمل أن يصبحوا أصحاب ورشات كبيرة أو رجال أعمال أثرياء والتخلص من الفقر وتبعاته، ويتمكن من تحقيق المكانة الاجتماعية التي يطمع إليها، وأن يتخلص لا شعوريا من الإحساس بالإحباط لعدم متابعة للدراسة.

خاتمة :

من خلال العرض الذي قدمناه والذي حاولنا من خلاله التكلم عن أهم شرائح المجتمع ألا وهي شريحة الطفولة حيث توصلنا من خلال التحليل إلا إن الحياة المعاصرة كما لها من انجازات وايجابيات لصالح الفرد والمجتمع هي أيضا تخلف من الوضعيات الخطيرة ما يكون حيث أن طفل اليوم الذي هو خلاصة التنشئة الاجتماعية والتي يجب أن تحوله إلى فرد متوازن وصحي نجده قد ظهر عليه الاختلال ، وظاهرة عمالة الأطفال إحدى الظواهر التي تترجم ذلك الاختلال لما لها من اثأر سلبية على الطفل خاصة وبالتالي على المجتمع ككل .

قائمة المراجع :

١- حسن مصطفى عبد المعطي ، **الأسرة ومشكلات الأبناء** (٢٠٠٤) دار السحاب ، القاهرة .

٢ - حسين عبد الحميد احمد رشوان ، **التربية والمجتمع**,(٢٠٠٥) مؤسسة شباب الجامعة,الإسكندرية.

٣- جون فيري (١٩٩٠) ، **التعليم في عالمنا الحديث** ، ترجمة محمد الأكحل ، دار الأفاق ، بيروت.

٤- محمد عبد القادر طه(١٩٩٩) **دراسات نفسية** ، **دورية علمية سيكولوجية** ربع سنوية محكمة ، العدد ١ ، المجلد الرابع.

٥- محمود عباس عوض (دون سنة) **علم النفس الاجتماعي** ، دار المعرفة الجامعية ، القاهرة.

٦- مهدي عبيد (١٩٩٤) **تربية الأطفال من الناحية العضوية والنفسية** ، دار النشر بيروت .

***المجلات والدوريات** :

١-حمزة جمال مختار(١٩٩٧) ، **عمالة الأطفال**: **رؤية نفسية** ، مجلة عام النفس، الهيئة المصرية للكتاب ، القاهرة العدد ٤٠-٤١ .

٢-رشيد عدنان (١٩٩٤) ، **١٥٠ مليون طفل عامل** ،مجلة العربي ، العدد :٣٠٦ .